التَّارِيخ: 03.11.2023

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ.

اَلسُّكُوتُ عَنِ الظُّلْمِ هُوَ ظُلْمٌ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّنَا الْيَوْمَ نَمُرُّ بِامْتِحَانٍ كَبِيرٍ كَأَفْرَادٍ وَمُجْتَمَعٍ وَبَشَرِيَّةٍ. اَلْقِيَمُ الَّتِى تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا، مِثْلَ الْحُقُوقِ وَالْقَانُونِ وَالْأَخْلَاقِ وَالضَّمِيرِ وَالرَّحْمَةِ يُدَاسُ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ الظَّالِمِينَ وَأَعْوَانِهِمْ. لَقَدْ حُكِمَ عَلَى إِخْوَانِنَا الْفِلِسْطِينِيِّينَ بِالْعَيْشِ تَحْتَ الظُّلْمِ وَالْأَسَرِ وَالْقَسْوَةِ فِى وَطَنِهِمْ مُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَالْيَوْمَ تَحْدُثُ فِى غَزَّةَ إِبَادَةٌ جَمَاعِيَّةٌ كَبِيرَةٌ دُونَ مُرَاعَاةِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ أَمَامَ أَعْيُنِ الْعَالَمِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ الْمُخْتَلِّينَ الَّذِينَ نَفَّذُوا هَذِهِ الْإِبَادَةَ الْجَمَاعِيَّةَ غَيْرَ الْمَسْبُوقَةِ يَسْتَمِدُّونَ شَجَاعَتَهُمْ مِنْ صَمْتِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَفَوْضَى تَنْظِيمِهَا. وَلَكِنَّ دِينَنَا الْأَسْمَى اَلْإِسْلَامَ يَدْعُونَا إِلَى الْوَحْدَةِ. وَيَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَكُونَ مُتَحِدِّينَ وَنَعْمَلُ مَعًا. إِنَّهُ يُرِيدُنَا أَنْ نُوَحِّدَ لَيْسَ فَقَطْ دُعَائَنَا، بَلْ أَيْضًا مَعْرِفَتَنَا وَقُوَّتَنَا وَإِمْكَانِيَّاتِنَا الْمَادِّيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ. وَيُعَبِّرُ شَاعِرُنَا الِاسْتِقْلَالِيُّ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِشَكْلٍ جَمِيلٍ:

لا يُمكِنُ لِعَدُوٍّ أَنْ يُفَرِقَ أُمَةً _ عِندَمَا تَجتَمِعُ القُلُوب مَعًا لَا تُهزَمُ

أَيُّهَا النَّاسُ!

وَهَذِهِ الْوَحْشِيَّةُ مُشْكِلَةٌ مُشْتَرَكَةٌ لَيْسَ فَقَطْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ بَلْ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ. وَمِنَ الْعَارِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ أَنْ تَقِفَ مُتَفَرِّجَةً بَلْ وَتَدْعَمُ جَرَائِمَ الْقَتْلِ الَّتِى تُرْتَكَبُ أَمَامَ أَعْيُنِ الْعَالَمِ. لِأَنَّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَسْيَادًا وَيَعْتَبِرُونَ الْأَرْضَ مِلْكًا خَاصًّا لَهُمْ، لَا يَهْدِفُونَ إِلَى تَدْمِيرِ مُسْتَقْبَلِ الْمُسْلِمِينَ فَحَسْبُ، بَلْ إِلَى تَدْمِيرِ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ. وَبِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ بَلَدِنَا أَوْ دِينِنَا أَوْ لُغَتِنَا أَوْ عِرقِنَا، فَإِنَّ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنْ نُعَارِضَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَذْبَحَةِ.

بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَكَانِ اِرْتِكَابِ الظُّلْمِ، فَمِنْ مَسْؤُولِيَّتِنَا جَمِيعًا كَبَشَرٍ أَنْ نَقُولَ كَفَى لِلظَّالِمِ. لِأَنَّ الرِّضَا بِالظُّلْمِ هُوَ أَيْضًا ظُلْمٌ.

أَيُّهَا الْأُخْوَةُ الْكِرَامُ!

فِى الْآيَةِ الَّتِى قَرَأْتُهَا فِى بِدَايَةِ خُطْبَتِى، يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: **"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"**[1]. فِى الْحَدِيثِ، يَقُولُ نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):**"إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ"**[2].

فَنَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ أَنَّهُ: إِذَا لَمْ نَقِفْ ضِدَّ الظَّالِمِينَ الْقَتَلَةِ الَّذِينَ يَسْلُبُونَ أَرْوَاحَ الْأَبْرِيَاءِ، فَإِنَّ النَّارَ سَتُحِيطُ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ. وَإِذَا لَمْ نَسْمَعْ صُرَاخَ الْأَطْفَالِ تَحْتَ الْقَنَابِلِ، فَسَيَتَأَذَّى الْجَمِيعُ. فَدَعُونَا لَا نَنْسَى أَنَّ هُنَاكَ دَائِمًا شَيْءٌ يُمْكِنُ لِلْجَمِيعِ الْقِيَامُ بِهِ لِمَنْعِ الشَّرِّ. فَلْنَلْعَبْ دَوْرًا رَادِعًا لِنَكُونَ عَقَبَةً أَمَامَ الظُّلْمِ وَأَمَلًا لِلْمَظْلُومِينَ. وَلْنَفْعَلْ كُلَّ مَا يَلْزَمُ فِعْلُهُ بِأَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا. فِى الْوَاقِعِ، يَقُولُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِى أُحُدٍ:**"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"**[3].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

فَلْيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا، رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، بِمَسْؤُولِيَّاتِنَا لِوَضْعِ حَدٍّ لِجَمِيعِ أَشْكَالِ الِاضْطِهَادِ فِى الْعَالَمِ. مِثْلَ النَّمْلَةِ الَّتِى ذَهَبَتْ لِإِطْفَاءِ نَارِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السلامُ ، فَدَعُونَا نَسْتَمِرُّ فِى الْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ ضِدَّ الْبَاطِلِ. وَنُؤْمِنُ أَنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ الصَّعْبَةَ سَتَنْتَهِى. وَسَيَنْتَهِى بِالتَّأْكِيدِ ظُلْمَ الظَّالِمِينَ، وَسَيَبْتَسِمُ الْمَظْلُومُ، وَسَيَكُونُ النَّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ. فَإِنَّ أُمَّتَنَا الْحَبِيبَةَ، الَّتِى هِىَ أَمَلُ الْمَظْلُومِينَ، سَتَجْعَلُ عَالَمَنَا أَرْضًا لِلسَّلَامِ مِنْ جَدِيدٍ بِوَعْيِ الْأُمَّةِ.

أَخْتِمُ خُطْبَتِى بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: **"رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"**[4].

---

[1] سُورَةُ اَلْأَنْفَالِ ، 8 / 25.

[2] اَلتِّرْمِذِى ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، 5.

[3] مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، 78.

[4] سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، 2 / 250.

اَلْمُدِيرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْخَدَمَاتِ الدِّينِيَّةِ